

ويمتد الكلام بالمؤلف فيقول: إنه في حروبه حظر أن يقتل المسلمون شيخا أو طفلا أو امرأة، أو يباعد بين أم وولدها ويحرموه من حنوها، كما كره منهم ونهاهم عن أن يقطعوا شجرة مثمرة.

وهذا غاية الغايات في كرم النفس ورقة القلب. وأردف المؤلف قائلا: إننا قلما نجد له في التاريخ نظيرا تجرى عليه صفات رحمته، ونضيف إننا إذا قلبنا صفحات التاريخ، ألفيناه في هذا منقطع القرين، ثم يفضى القول بالمؤلف إلى أنه كان في الأحابن يبدى الميل إلى الانتقام⁽¹⁾.

ونحن ننفي عنه ذلك لأنه يتعارض تماما مع ما سلف من قول ولم يسق لذلك مثلا لدعم دعواه بدليلها، ونحن لم نعرف هذا عنه ولم يجرب عليه صلوات الله وسلامه عليه. هذا ما توافر لي من أسباب لمعرفة تلك المغازي وإنزالها منزلتها وإجراء ما لها من صفات عليها، وذلك تمهيدا لدراستها دراسة مقارنة فيما نظم عنها شعراء العربية والتركية والفارسية والأوردية.

ويخيل إلى أنى كنت على الحق والصواب حين انعقدت نيتي على اختيارها موضوعا للدراسة المقارنة في الأدب الإسلامى.

فلقد اجتمع شعراء الشعوب الإسلامية على صنيع واحد، هو قولهم شعرا فيها، وتباينوا في كيفية تناولهم للموضوع ورؤيتهم إليها فيما اتسمت به من خصائص وأخرجوا فيها كتبا قائمة بنفسها أو قالوا أشعارا تفرقت في أشبات الكتب.

ولا شك أن ما صنعوا أمانة على أن الوحدة الإسلامية عقدت بينهم من الوشائج ما جعلهم يتشابهون في عموم ويختلفون في خصوص وذلك منهم يجعل نظرة التأمل في شعرهم مادة سخية للدراسة المقارنة في شعر إسلامى أعرق ما يكون في إسلاميته.

وهذه الدراسة هي تلك التي أفيت عمرا طويلا في العكوف عليها وتلمسها وتتبعها، وعاهدت الله وبمسي على ألا أكف عن مواصلتها إلى أن تنقضى عني من الدهر أيامى، بيد أنى صادفت في دراسنى تلك ما تعثر وشق.

(1) Emile Dermengham Lavie de Mahomet S. 199 Paris 1929